٥٠ « لمستشفى فرنسا .

٥٠ « لمستشفى النمسا .

٥٠ « لمستشفى انجلترا .

٣٩) ٢٠٠ جنيه تصرف في كل عام ويشترى بها زغابيط ودفافن صوف لمائة نفر ذكور في الشتاء والصيف لكل نفر ستة عشر ذراع بفته سمسرة ولمائة انثى كل واحدة ثلاثة مقاطع قماش وثلاثة شاشيات في الشتاء والصيف .

٤٠) ٤٥٠ جنيه تصرف في كل عام ثمن ١٢٠ أقة تفرق على حضرات العلماء وطلبة العلم بجامع الاحمدي بطنطا .

٤١) ٥٠ جنيه تصرف في كل عام لمن يحيون ليالي المواسم والاعياد بتلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم الواقف بالقرشية .

٤٢) ٥٠ جنيه تصرف في كل عام ثمن كسوة لعشرة من العلماء والفقراء المدرسين بجامع الاحمدي بطنطا .

٤٣) ٣٩ جنيه تصرف في كل عام على مدفن الواقف بطنطا في تلاوة القرآن .

٤٤) ٤٦٥٤ جنيه يحجز من ريع الوقف كل عام لملجأ الغرض الحسن لراحة الصدور من الوهن وديوانه بطنطا ويقرض أرباب البيوت مبالغ بدون فائض .

هذه مأثرة من مآثر رجل مسلم وفقه الله فأحيى أمة بل أمماً وكل يعلم أن المجد في كل وقت بحسب أفكار أهله ، والمجد الحقيقي في وقتنا هذا هو ما خلد نفعاً عاماً دائماً فيكون ذكر صاحبه عاماً دائما ، والجزاء من جنس العمل ، اللهم وفق الاغنياء لاحياء هذه الامة والحياة الحقيقية هي تعميم العلم النافع ولله در زهير ابن أبي سلمى :

ومن يك ذا مال ويبخل بماله ☆ على قومه يستغن عنه ويذمم

ح.

***

— توفي المحسن الكبير في ١٥ دسمبر ١٩٠٤ ومن جملة مئاثره جمعه اثناء الثورة العرابية عدداً عظيماً من الغرباء والخائفين من مسيحيين ويهود وغيرهم وحماهم في داره واخذ يسفر على نفقاته الخصوصية من يريد المهاجرة فسافر ثلاثون الفاً مزودين بالمال والزاد الكافي لهم .

المغرب

كما يراه الشرق العربي (١)

قد نعرف نحن المغاربة بلادنا ونعرف وضعيتنا الاجتماعية وما لدينا من مظاهر المدنية القديمة والحديثة ولكننا لا نعرف شيئاً كثيراً عما يقال عنا في الخارج إذ ان هناك حقيقة جلية هي أننا مجهولون في العالم الانساني وأننا خارج المغرب جماعة من أناس تتضارب فيهم الاراء وتتباين الى حدّ بعيد فنعت بأحسن الصفات وأرذلها ويجول بنا الخيال هناك جولات لا يكون لها في الغالب أدنى صدفة للصواب والواقع ، فالمغرب بلادنا كما نعلم عبارة عن شبه جزيرة إذ يحيط بها البحر من جانبين والصحراء الكبرى من جانب ثالث فنحن في كل أدوار تاريخنا نمثل وحدة تامة وعزلة إذ لم نمتزج امتزاجاً حقيقياً إلا بأمم الشمال الافريقي وهي أمم تصورنا في كل مظاهر الحياة فنحن من الشعوب التي حافظت على وحدتها وصفاتها في مختلف أزمات التاريخ .

ونحن كما كنا في عصر الجمال وسفن القلاع لا نتصل بأمم الشرق العربي إلا بمقدار كذلك اليوم ونحن في عصر الآلات البخارية والمواصلات السريعة غزتنا صحف الشرق العربي ومطبوعاته فأمسينا بعد أمد قصير نعرف جزئيات عن مصر وسوريا وفلسطين والعراق ربما لا يعرفها ابناء تلك البلدان ولكن هذا الاتصال او هذا التعارف هو من جانب واحد لا غير فهم بمقدار ما نعرف عن بلادهم ونتابع من أخبارهم ونتجادل في شؤونهم يجهلون كل شيء عنا ولا

(١) حديث القي بالنادي الادبي السلاوي

يتحدّثون عن احوالنا إلا ظناً وخيالا كأننا من جزيرة مملوءة بالسحرة لا توجد إلا في خيال روائي تترآى له كلما خلى الى نفسه وتابع خيالاته فإذا بالروائي يصفها تارة بأوصاف تنجذب اليهـا النفس وطوراً بأوصاف تخيف وترعب .

وما تاريخ بلادنا في نظر هؤلاء الاخوان الشرقيين الا عبارة عن حروب قبائل يغور بعضها على بعض وثورات متواصلة بل هو تاريخ تلك الجماعات التي لم تخرج من عصر القبيلة والعشيرة الى عصر المدينة والوطن والجماعة والتي لم يخرج نظامها من البساطة الى التركيب ومن دور الزعامة الفطرية الى دور الملك الشامخ .

ولكن ما لي أشاء أن اعيب على اخواننا الشرقيين ولا ألوم أنفسنا ما دمنا في جزيرتنا لا نعمل ولو جزءاً طفيفاً لنوضح لهؤلاء الاخوان الذين تربطنا بهم روابط الدين واللغة حالتنا وأية درجة وصلناها في عالم الحضارة فهم ربطونا بهم بما يصدرون الينا كل يوم مما تخرجه مطابعهم أما نحن الآن فنتهاون بكل شيء ولا نعبأ بشيء ولا نرى المدعاية من فائدة بل ان كثيراً منا يراها ثرثرة لسان .

وسوف لا أُطيل الحديث عن تحديد مسؤليات ومناقشة نظريات وانمـا سأوضح صورة رأيتها ولمستها تكونت تكويناً متزناً خلال سنوات أربع ولكم بعد ذلك مجال الردّ ومجال الفصل فحسبي الآن أن أُبلغ تلك الصورة وأن أُذيعها في وسط كوسطنا لا يعترف ـ كما قلت ـ بالدعاية ولا يعمل لها ثم علي بعد ذلك أن اصمت ريثما ارى اثر ذلك.

فلنضع لاجسامنا اجنحة ثم لنطر ـ وهذا لم يمس بفضل العلم من المستحيلات ـ الى أن تتراءى لنا مصر أو الشام أو العراق فنجثو على صخرة سحرية في الفضاء ترى كل شيء وتخترق الصدور ولا تُرى ولا يُرى ما عليها فاذا ما جثونا فليسر مغربي في الشارع بجلبابه ذات اللون الناصع وطوقه المنضد والوانه الزاهية وهو يختـال في مشيته ويصادف أول من يصادف هذا الشاب الشرقي صاحب الملابس الافرنجية الباريسية الصيفية ـ ما دمنـا في فصل الصيف ـ حيث البنطلون الابيض والصدرية الزرقاء والنعل ذو اللونين فيلقي هذا الشاب نظره ازدراء على هذا المغربي الذي لا يزال يعيش في العصور الماضية فلم يغير ملابسه ولم تؤثر عليه المدنية بعد ما دام حاملاً لهذا اللباس الذي مهما كان نافعاً للصحة أو مناسباً للذوق فهو غير أُروبي وليس هناك من قيمة لشيء شرقي في نظر الشرقي فلنصبح ابناء العصر الحديث يجب أن نخلع عنا كل مظهر من مظاهرنا لندمج في الغرب وهو بأنف منا ويبتعد عنا .

وتخرج كلمات من فم صاحبنا الشاب كلها ازدراء لرجلنا المغربي دون أن يكلف نفسه أن يستعلم عنه فربما لا ينقص عنه تفهما لروح العصر وتطورات الحياة فكل ما هناك ان ملابسه غير اروبية وهو آت من بلاد يقال لها المغرب لا الغرب .

ويتخيل صاحبنا الشاب كأنما أصبح البون شاسعاً بينه وبين هذا المغربي السذج فيتابع سيره ويسرع في خطواته متطلعاً الى ملابسه التي هي على آخر (مودة) تلبس في الغرب فتزداد جثته عظمة امام عينه اذ لا يرى بينه وبين الغربي كبير فرق .

ويمرّ فرد من العامة فيتطلع الى صاحبنا المغربي فتتراءى له صور عدّة عن هذا الرجل فتارة يخيل اليه في صورة ساحر يصير الحديد ذهباً وفي هذا غنى وطمع وطوراً يرى فيه زاهداً من عباد الله المختارين فاذا ما تراجع بذاكرته الى ما يطالعه في السنوات العشر الاخيرة خيل اليه المغربي في صورة ثائر لا يعبأ بالدماء وليس له من مستقر وانمـا

هو من هؤلاء البدو الرحل فيتردّد بين أن يطمع في سحرياته وبين أن يزوره تبركاً بولي الله ثم يتراجع آخر الامر خائفاً من هذا المغربي ، أما صاحبنا المغربي فيتابع سيره ويتحدّث مرتفع الصوت غير ملتفت الى من ينظر اليه وغير شاعر بهذه التصورات التي تختلج في تلك النفوس بل يتقدّم الى بائع فيحدّثه بلهجة مغربية صميمة بسرعة واصطلاحات بلاده فلا يتفاهم معه الا بالاشارة .

اما النساء المارات فيستغربن هذا الرجل ويتغامزن وتشاء واحدة منهن أن تدعوه ليسحر لها لغاية في نفسها ويطول تشاورهن بينما المغربي يخطو خطوات يبتعد بها عنهن ولا ريب أن حديث هاته الجماعة من النساء كان طول ذلك اليوم عن هذا المغربي ذي الجلباب الساحر الماهر وما هو في الواقع الا حاج أو سائح لا يعرف من كلمة السحر الا ما أفهمه أنا وانت .

اذ المشعوذون في الشرق عند ما يريدون ثقة الناس بهم ثقة عمياء يزعمون أنهم مغاربة فبلاد المغرب في نظر العامة عبارة عن مجموعة من الصور جمعت الغريب والمدهش والجميل والقبيح وحياة المغرب حياة عليها المسحة السحرية في كل مظاهرها .

لعلكم تستغربون هذه الظاهرة فلنقف عندها قليلاً فالصفة البارزة التي يصف بها المغربي في الوسط الشرقي هو أنه ساحر ماهر يستحضر الجن في كل لحظة ويناجيه فلا يتأخر الجن عن مساعدته في الارض أو في السماء فانك لا تكاد تهبط هذا المجتمع حتى تسمع أحاديث وحكايات عن أفراد ينسبون لا نفسهم الجنسية المغربية يلعبون دوراً مهما في الحياة الاجتماعية بهذه البلدان فيشعوذون اياماً يربحون من وراءها اموالاً باهضة وما هم من السحرة في شيء بل حسبهم دقة ملاحظة وجواب في اللسان وتفهم لعقلية المخاطب.

ولنستمع الى دور من الادوار التي يقوم بها هؤلاء الافراد باعتبارهم مغاربة .

في احد الايام اشترى فرد شيئاً من دكان فقدم لصاحبه قطعة من نقود ذهبية تساوي أضعاف ما اشترى ولم يهتم أن ينتظر للحصول على الباقية بل تابع سيره فتعجب صاحب الدكان من أمر هذا الرجل وتبعه على الاثر متسائلا عن عدم اهتمامه بنقوده الذهبية القيمة فأجابه الرجل أن الباقية قسمتك وحظك وليس ذلك الا جزءاً طفيفاً مما يرزقنا الله من السماء فاهتمّ صاحب الدكان بأمر هذا الرجل الغريب ورجى منه أن يكون ضيفه الليلة فامتنع صاحبنا المشعوذ فألح الآخر في طلبه وأخيراً قبل صاحبنا أن يذهب الى بيت صاحب الدكان فكان حديث هذا الاخير كله يرمي الى تفهم مصدر ما له من نقود ذهبية لا قيمة لها في نظره والاخر يحاول دهاء أن يخفي ذلك عنه ليزيده رغبة وأخيراً بعد الحاح شديد يخبر صاحبنا المغربي التاجر بأنه استطاع أن يصل الى درجة عالية في علم الطبيعة وأنه بعمليات سحرية خاصة يصير الحديد والنحاس وما شابههما من المعادن ذهباً ، فيتهلل وجه التاجر فرحاً وغبطة لكن صاحبنا المغربي يندم ندماً شديداً حيث يوهم الثاني أنه فضح سره ويتظاهر أنه يريد أن يغادر منزل مضيفه في الحال بينما الآخر يزداد حرصاً عليه ورغبة في جلوسه حتى يقوم بعملية من عملياته في بيته ويطول بينهما الجدال حيث يتظاهر صاحبنا المغربي بالكتمان والآخر يشاء ان يستغني بواسطة الساحر المغربي المزعوم الذي طالما سمع عن ابناء جنسه ما يحير الالباب وأخيراً يرضى المغربي ادعاءً ان يكون منزل مضيفه ميداناً لصيرورة الحديد والنحاس ذهباً نضاراً وباشارة من هذا المغربي يجمع ما في البيت من قطع حديدية أو نحاسية

وتشعل النيران ويوضع جميع ذلك في آنية من حديد حيث يدوم لهيب النار مشتعلا ثلاثة أيام متوالية وفي غيبة من المضيف يفتح المغربي القدر ويذر على وجه الماء مسحوقاً اصفر في لون التبر ثم يطفئ النار الى ان يبرد القدر نهائياً ويفتح أمام الشخصين وعند ما يرى التاجر لون ذلك المسحوق على صحيفة الماء يخيل اليه ان الجميع اصبح ذهباً رناناً لكن الاخر يظهر حزناً لا مزيد عليه وتألماً شديداً فيسأله التاجر عن سبب حزنه وألمه فيفاجئه ان العملية قد نجحت نجاحاً تاماً لكن...ولا يزيد شيئاً فيتحير التاجر ويسأله لكن ما ذا ؟.. فيردّ عليه المغربي أُفكر فيما أعجز عنه وتعجز أنت عنه ايضاً فالعملية نجحت لا ينقصها الا مادة خاصة لا توجد في هذه البلاد وتشترى بما لا يقلّ عن ٢٠٠ ليرة عثمانية ذهبية (أي ما يزيد عن ٢٢٠٠٠ فرنك) فيجيبه التاجر : الامر هين ! ان لدي ذلك المقدار واستطيع ان أقدمه لك خدمة للمشروع ، فيسر صاحبنا المغربي ويسرع الاخر الى خزينته الحديدية ويقدم له المقدار فيسافر الساحر الموهوم محاولا شراء تلك المادة الموهومة بعد أن يضع القدر في مكان مغلق ويوصي صاحبه الا تفتح مطلقاً خوفاً من فساد العملية السحرية الغريبة ومرت الايام والليالي تباعاً دون رجوعه ولعل ذرة من الامال لا زالت تخالج صاحبنا الشرقي كلما تذكر هذه الحادثة بالرغم عن تصوره انه خدعة .

ولعلكم تستغربون هذه الحادثة وتظنونها خيالا ولكن لو قضيتم بضعة ايام بالشرق العربي لتيقنتم ان الحادثة صورة مصغرة عما يتصور به المغربي في ذلك الوسط من دهاء وسحر ولكي تزدادوا يقيناً اصرح لكم ان مثل هذه الحادثة جرت بين مغربي وبين امير تولى امارة احدى المقاطعات الشرقية بعد الحرب العظمى وان هذا الامير قدم مقداراً عظيما من الليرات الذهبية في سبيل الحصول على الثروة من هذا الطريق .

والآن حان لي ان انتقل الى ناحية اخرى بعد ان ابدي ملاحظة ضمن تساؤل هو لو أُوتي لمغربي بساحر من هؤلاء السحرة المشعوذين وطمع بالذهب الوهاج فأنا شخصياً لا أتصوره ينخدع ودليلي الوحيد ان لا أثر لمثل هذه الخرافات في وسطنا بينما المجتمعات العائلية في الشرق كثيراً ما تتحدّث في هذا الموضوع باستغراب ونوع من الثقة في مقدورة المغربي السحرية .

وحسبنا حديثاً عن السحر والسحرة الموهومين فهكذا استطيع ان أصور ما يتراءى للشرقي اذا ما وقعت عيناه على هذا الرجل ذي الجلباب الطويل والبلغة الصفراء ومن هاته الصورة تدركون سمعة المغربي في ذلك الوسط الشرقي. فلننتقل الى ناحية ثانية من الموضوع وهي كيف يتصور الشرقي بلاد المغرب ؟

أه... يا بلادي انك مهضومة الجانب حتى في بلاد تتحد معك في اللغة والدين والاتجاه اذ تتراءى لهم في صورة تتألمون اذا ما ادركتموها ولكن سيشعر المغربي المثقف بوخز في ضميره حيث لم يسع جدياً في الدعاية لبلاده والاعلان عنها تلك البلاد ذات التاريخ المجيد والحضارة المأتصلة .

فنحن المدنيين في نظر أغلبية السكان هناك نعيش في خيام وحظنا من الحضارة حظ البدو في بلاد لا أثر للجمال الطبيعي فيها فأين قصورنا الفخمة وأين فننا المعماري المغربي الجميل وأين مؤرخونا وأين علماؤنا وأين هذه الآثار الخالدة التي ورثناها عن الموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين؟ تلك آثار لا يتصور الشرقيون لها وجوداً في بلاد الامويين أو بلاد العباسيين .

ولكن ألا ترون انها في بلادنا ايضاً لا زالت ملفوفة في اكفان الموت مجهولة الموضع والقيمة وشبابنا هذا المثقف شاء البعض منهم اليوم ان لا يعترف بمجدها .

وهكذا سوف لا نكون قد حافظنا على تراثنا المجيد بل القينا الكلّ في زاوية المهملات ولم نتصل بالماضي لنعمل بروح الأمل في المستقبل ونجتاز عقبة الحاضر اجتياز المفتخر بما لديه من عناصر المدنية التي نستطيع — وخصوصاً في الناحية الاجتماعية والفنية — ان نسميها حلقة وصل بين مدنية العصور الوسطى التي ازدهرت على ضفة من البحر المتوسط ومدنية اليوم التي تزدهر على الضفة الاخرى من ذلك البحر ومع ذلك فنحن كلما ابتعدنا عن هذه البلاد المغربية ازدادت صورتنا في ذهنية القوم هناك اضطراباً وتشويها .

أما حياتنا الفنية فلا توجد عنها صورة تامة التكوين لدى اخواننا الشرقيين وهذه الناحية من حياتنا مجهولة تمام الجهل عندنا نحن المغاربة أيضاً فلا نتصل بها اتصالا تذوق وتمتع بجمالها بل اتصال ممارسة أو اتصال عادة ، وكل ما يعلم الشرقيون في مصر عن حياتنا الفنية خطوط من صورة عن الموسيقى المغربية حيث استمع الهاوون لهذا الفن الجميل الى أدروار قام بها الوفد المغربي في مؤتمر الموسيقي الذي عقد منذ سنتين في القاهرة ويسوءني أن أعلن أن تلك الصورة مشوهة لا تناسب مطلقاً ماضي الموسيقى المغربية الاندلسية الجميلة بل لا تناسب حتى هذه اليقظة الفنية لا العلمية التي بدأت تدب من جديد في حياتنا الموسيقية .

وما دمت في عرض الصور التي تتراءى للشرقيين عن المغرب وعن المغربي فمن واجبي أن أشير في ختام حديث الليلة الى هذا العطف الاخوي الذي بدأ المغربي يشعر به عند ما يجالس المثقفين الشرقيين ذلك العطف الذي قوت جذوره العاطفة الوطنية ووحدة الاتجاه الذي ترمي اليه كل الشعوب العربية في الآونة الاخيرة ، وأن من واجبي أيضاً أن أثني الثناء العاطر على رجال الصحافة العربية لما ينشرونه عن المغرب وعن حركته ونهضته وتفائلهم بمستقبله وأرجو أن يعمل أبناء المغرب على وصل بلادهم بالمجموعة العربية التي الامل القوي أن تاخذ بيد الحضارة في المستقبل القريب وتتجه بها نحو الصلاح والخير الانساني في اسمى مظاهره ، ذلك الوصل الذي يلاشي هذه الصورة المتقدّمة المشوهة التي يرى بها المغرب والمغربي في الوسط الشرق العربي .

وكلمة ختامية في سطور آتي بها وافارق المنصة وهي انني لم اذكر نصاً لاستدل به على هاته الصورة التي قدّمتها عن المغرب والسبب في ذلك انه لم يؤلف في النهضة الحديثة أي مؤلف عربي عن المغرب ولم تنشر مقالة باقلام شرقية عن ناحية من نواحي المغرب الاجتماعية أو الفنية وأنما ما ذكرت ليس الا نتيجة مشاهدات وملاحظات أدركتها اثناء اقامتي بالشرق العربي فالمعذرة اذن أيها الاخوان .

سعيد حجي

— جاء في كتاب الاغاني ص ٢٥٣ جزء ٤ طبع دار الكتب المصرية : « أخبرني الحرمي قال : حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجمحي قال : كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطر نجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار أوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . » أليس معنى هذا ان العرب قد عرفت الاندية على النمط الذي نعرفه في العصر الحديث بالتنميق الذي يظن الجل انه من ابتكارات اليوم ؟